الثعبان.. وهياكل الرماد!

حين غزا الثعبان ، ذو الاجنحة الطوال
والذنب المدبب الراس ،
حديقة الاطفال ،
وذبح العصفور في سريره من قبل أن ينام
مروّعا ، في صمتها ، ذاكرة الايام ،
كان النهار لم يزل يعاند الظلام
كان بوسع الفأر أن يبصر ظل حجمه
وكان في سريره العصفور
والسكين
في عنقه تلتهم الرخام
لم تتدحرج قطرة واحدة من دمه
ولم يحرك جانحا ، لم يسبل الجفون
ظلّ بعيني بومة ينظر في اللاشيء
ظل كمن سمّره الفراغ في قرارة السكون
يريد أن يموت ، هكذا ، مشرّع العيون
ليحرس الموتى فلا يشغلهم بهمّه
الموت قد يصيب من يحب مرتين .

***

حين غزا الثعبان ذو الاربعة الوجوه
ذو الجرس العالق في جدائل الارياح
حين غزا حديقة الحمام
والتهم الافراخ في أعشاشها حتى قبل أن تنام
جاء على مركبة الرمز ، على أجنحة الخيال
فلم تشاهد ركبه محاجر الرجال
لم تسمع الآذان وقع خيله ، لم تسمع الآذان ...
تلك رؤى من عالم الاشباح
من يدعي رؤيتها ؟ من يبصر الارواح ؟!
معجزة أن يلمس الانسان ضوء العين

***

حين غزا الحديقة الملتفة الاغصان
على دوالي الوهم ، والزنابق الزجاج
وذبح العصفور والحمائم الصغار
في رحلة الشمس على سواحل النهار
حين غزاها ذلك الثعبان
حين غزا حديقة الاسرار ...
لم يجد الابواب ، لم يعثر على سياج
تهاوت الابراج من عليائها ... تهاوت الابراج
وانكشف الستار عن هياكل الفخّار
عن كاهن من خزف وسادن من قار
من خامة الصفار ، من نفاية الهوان
تبددت خرافة الالوان
وظهرت ، في عريها ، آنية الرماد
من قلق الوجود في أحشائه تحرك الجماد
من قلق الوجود في أحشائه تحرك الجماد

بيروت

حبيب صادق